

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٥)

(أ)
(يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ
يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ
سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ)

صدق الله العظيم

(ب)
الصوفية في الإسلام

لؤلؤنا العارف بالله
فضيلة الشيخ / ماهر إسماعيل جاهين

رحمه الله ورضي عنه
وهزاهن الإسلام والمسلمين خير الجزاء

تقديم

أخي الموحّد

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته • ومغفرته ورضوانه • أسأل
الله لي ولأخي المؤمن ولعامة المؤمنين وخاصتهم التوفيق والسداد
بمنه وجوده وكرمه ، إنه نعم المولي ونعم النصير •

أخي المؤمن

بين يدي أخي الكريم درس من الدروس الإيمانية التي كان يجود
بها الحق علي يدي مولانا العارف بالله فضيلة الشيخ / ماهر
إسماعيل جاهين - رحمه الله ورضي عنه ، وجزاه عن الإسلام
والمسلمين خير الجزاء •

وإذا قلت لأخي إن تاريخ هذه الدروس يرجع إلى السبعينات
ولكنها لم تنشر إلى الآن سيعجب أخي ويقول أين كان
المستمعون ؟ وهنا يرد العارفون بالله ويقولون ما قاله مولانا
الراحل فضيلة الشيخ الشعراوي رضي الله عنه ورحمه وجزاه
عن المسلمين خير الجزاء •

لكل شئ ساعة ميلاد

كانت ساعة الميلاد حينما تلقى أخ مؤمن (شريط الكاسيت) يستمع إلي درس الشيخ فبهرتة عباراته ، ووصلت إلي قلبه كلماته . هذا ولقد صدق بعض العارفين حينما قال (إن لله عبداً كلما اشتدت عليهم ظلمة الوقت كلما قويت أنوارهم .
مثلهم كمثل الكواكب كلما قويت ظلمة الليل قويت ضواؤها وأين أنوار الكواكب من أنوار قلوب أوليائه ؟ أنوار الكواكب تنكدر . وأنوار قلوب أوليائه لا إنكدار لها .
فأنوار الكواكب تهدي إلي الدنيا ، وأنوار قلوب أوليائه تهدي إلي الله .^(١)

وهكذا وبعد أن إستمع أخي الطبيب إلي ما استمع نسي وقته فسهر ليله وإعتكف في حجرته ليسجل وينقل إلينا هذه الإشراقات الربانية كي يعم النفع وصدق سيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم حينما قال (رَبِّ مَبْلَغٌ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ) .
هداني وهداك الله أخي سواء السبيل وجمعني وإياك علي صراطه المستقيم وفي جنة (عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين)
صدق الله العظيم .

^١ لطائف المنن لابن عطاء الله السكندري .



الدرس الخامس

المعاني التي دار حولها الدرس

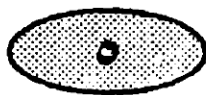
- ١- الغيوب كثيرة ومتنوعة • لذا كان الله علام الغيوب •
- ٢- كل ما يحدث في الأرض من تخطيط وغيره ، وما يتزل من السماء من مطر ، وما يخرج من باطن الأرض من كنوز ومعادن كل شئ مقدر له من ينتفع به وما ينتفع به •
- ٣- اقتضت حكمة الحق أن يتفاوت الناس في أعمالهم ودرجاتهم حتى يعيش المجتمع البشري في تكامل تام •
- ٤- عرض سريع للتصوف الإسلامي • وما كان عليه الصوفية القدامى •
- ٥- سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم هو السراج المنير • ولذا نجحت المدرسة الصوفية القديمة لشدة تمسكهم بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم •

- ٦- أهل الصوفية في الإسلام : هم الذين يعيشون في
مقام الإحسان .
- ٧- في عصر المماليك تغير الوضع ، وضعف
الاهتمام بالجانب الديني فتشوه وجه الصوفية .
وأصبحت الصوفية إسما لا حقيقة لها .
- ٨- لما ضعف شأن المدارس الحديثة في الصوفية اتخذ
القائمون عليها أذكارا جوفاء وبالتالي انعدمت الناحية
الروحية .
- ٩- لكي يعود التصوف إلى مكانته لابد أن نعود إلى
ما كان عليه الرسول صلي الله عليه وسلم وأصحابه
من تمسك بالسنة واتباع لمنهج الله القويم .

رجاء واعتذار

أخي الكريم

أرجو أن تفتح لي قلبك قبل أن (تستمع إلي بأذنيك) ظلت هذه (التسجيلات) زمناً غير قصير وخشناً أن تمتد إليها أيدينا فنخرج بها عن المراد حينما نلجأ إلي تغيير أو تبديل وكنا نحس بعبء المسؤولية لقصور أفهامنا وضعف إدراكنا حتى قبض الله أخاً شجاعاً فبدأ بالفعل ونحن بدورنا - شد الله أزرنا ووجهنا إلي العمل فقلنا لعل ذلك إذن من السماء بنشر هذا العلم الجليل و تقدمنا إلي إخواننا راجين قبول عذرنا إذا ما وقع في النقل تقصير أو قصور أو تكرار زائد وأملنا في ذلك أن ينفع الله بهذا النشر عباده المؤمنين فإن كان التوفيق فهو من الله وحده - وحده - وحده (وما بكم من نعمة فمن الله) وإن كان غير ذلك فنقول لأخي القارئ (فاصفح الصفح الجميل) • وما توفيقنا إلا بالله •



الدرس الخامس

أ - (في قوله تعالى : " يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ
ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا
تَعُدُّونَ " ^(١))

ب - (نبذة سريعة عن التصوف)

التدبير هو التفكير في شئ ما ليصل به الإنسان إلى الأمر
المعقول . و هذا بالنسبة للمخلوقين لا غبار عليه .
أما بالنسبة لله سبحانه فهو علام الغيوب ، لأن الغيوب كثيرة
ومتنوعة لا حصر لها . فالقلب المدرك غيب والروح
غيب ، وما وراء هذا الحائط غيب . وما غاب عن نظرك
فهو غيب . وبعد ثانية من الزمان غيب ، لأن الإنسان لا
يدري ما قَدَّرَ له . هذه الصالة ما وراءها غيب . ومن أجل
هذا قلنا إن الحق سبحانه وتعالى (هو وحده عَلامُ الْغُيُوبِ) .
وهو وحده الذي (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ) .
هذا التدبير بالنسبة لله سبحانه وتعالى توضحه الآية الكريمة
(نَحْنُ قَسَمًا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) ويوضحه

^(١) سورة السجدة

أيضا قوله عز وجل : (وفي السماء رزقكم وما توعدون)
لأن قرارات الأرزاق تنزل من السماء (وما توعدون) تشمل
ما قدره الحق لعباده إلى يوم القيامة ، و الرزق في اللغة : ما
يَنْتَفِعُ به (وَيُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ) كل ما يحدث
في الأرض من تخطيط وغيره فهو من الله ، فالمياه التي تنزل من
المطر كل قطرة من الماء مقدر لها من ينتفع وما ينتفع بها
(وَقَدَرْنَا فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِيَسْأَلُوا
يَجْرِيَ وما يحصل عليه الإنسان من خبز أو ماء يكون جُزْأً .
بل كل ما يتناوله الإنسان مُخَصَّصٌ له لا يمكن أن يتجاوزَه إلى
غيره من الناس .

كل ما يحصل مقدر ثابت قبل أن ينزل للناس . ولو ترك
الله الحرية للخلق لحاول كل منهم أن يكون هو الرجل الأول
(نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ) كل ما يعيش به الإنسان : من
الأعمار والآجال والطعام والشراب والوظيفة وكل ما يخصه
داخل في قوله عز وجل (نَحْنُ قَسَمْنَا) .

بدليل لو فتحنا فصلاً للتعليم كل أب أرسل ابنه للمدرسة
وهو يتمنى أن يكون ضابطاً أو مهندساً أو طبيباً .

لو كانت الأمور تجري وفق مُرادنا لا اختلَّت الحياة ولتوقف
دولابُ العمل . ماذا تفعل الدولة لو تخرج الكل ضباطاً ؟
من أين نأتي بالجنود إذا ؟ ومثل هذا نقول في غيره .
لو تخرج الطبيب ألا يحتاجُ إلى مُمرِّض ؟ وعاملة للتنظيف ؟
ثم من أين نأتي بمن يُعَدُّ لَهُ العِیَادَة ؟ فيقوم بالسباكة
والدهان ، وتركيب النور ، إلى آخر ما هو مطلوب لعمله .
ومن أين يأكل الطبيب ونأكل نحن ؟ أين من يَزْرَع ؟ أين
من يُعَدُّ لَهُ الخبز ؟ أين من يبيع اللحوم ؟ مجتمع بشري كبير
له متطلباته المختلفة وله مصالحه المتشابكة .

لو ترك الأمر كما قلنا سابقاً لآمال كل أب إذا لتوقفت
الحياة . بل كيف تبدأ عجلة الحياة ؟ ولكنه الرب القدير ،
صاحب الأمر والتدبير تقتضي حكمته ويقضي علمه
ومشيئته أن يخرج بعض التلاميذ من الإعدادية ليتحقوا
بالمدارس الفنية المختلفة ، لينتشروا في الأرض ، وليعمل كل
أحدهم في مجال تخصُّصه من زراعة وصناعة كما أراد سبحانه
والقضي علي هؤلاء أن يتجهوا هذا الاتجاه بعد الإعدادية .
وكما قضي علي فريق آخر ألا يحصل علي الإعدادية ليكون



منهم من يعمل في المجالس المحلية لتنظيف الشوارع و القيام
بالخدمات العامة لجماهير الناس . ثم اقتضت رحمته أن يُرَضِّيَ
بحكمته من يقومُ بالعمل في هذا المجال ، وإلا لَوُ لم يَتَجَلَّ
بفضله علي صغار العاملين (الذين تظنهم صغاراً وهم كبار ،
لما يقومون به من عمل لا يرتضيه غيرهم) لو تخلي الحق عنا
برحمته كما قلنا لم يسر دولا ب الحياة .

و أظننا بذلك قد وضح لنا ولو بعضَ الوضوح قولُ الحق :
(يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ) . لكنه الله العليم القيوم
الذي أحسن كلَّ شئ خلقه . ثم قال الشيخ رضي الله عنه
الله سبحانه وحده يعلم أن الإنسان لئيم . وهو الذي ينزع
خالقه باستمرار . ثم بين كيف ينزع العبد خالقه ؟ فقال
لأنك واحدكوالرب واحدكهذا هو الخلاف الذي بيننا وبين
ربنا عز وجل (لقد جئتمونا فرادي كما خلقناكم أول مرة)
وفي آية أخرى قال سبحانه (وَكُلُّهُمْ أَتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا)
أنت لا ثاني لك ، لأنك لن تجد ما يشبهك تماما . والله
سبحانه وتعالى لا ثاني له ولذلك لا ينظر الإنسان إلا من
زاويته وحده . وهو الذي يدعي الربوبية ولا يوجد من

المخلوقات من يتجراً علي ذلك عدا فرعون وَمَنْ علي
شَاكِلته (اَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى) .

من هنا دعا الحق إلي توحيدهِ سبحانه وتعالى : (قُلْ هُوَ اللَّهُ
أَحَدٌ الْأَحْدِيَّةُ لَا تُشْنَى .

الله وحده هو الذي ينظم الكون . ومن النظام أن يكون في
بعض المنازل فئران ثم يقول الشيخ : أنت بمقدورك أن تُطْرِجَ
الساكن ، لكن ليس بمقدورك أن تَخَلِّصَ من هذه الفئران إلا
بصعوبة لأن الله هو الذي أقامها عندك .

ربما يضحك الكثير منا عندما يسمع هذا الكلام . ولكن
المؤمن الموقن يرى ذلك شاهداً بأن الله هو الحي القيوم علي
خلقه . وهو وحده المتصِّرف في هذا الكون .

من هنا يتضح لنا مدى تدبير الحق سبحانه وتعالى لجميع
المخلوقات حتى تعيش كلها حسب تقدير الخالق لها . فعالم
النمل يعيش مع الإنسان في بيته ، وهو داخل في قوله سبحانه
وتعالى : (نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ) . . الآية .

ولذلك كان للشيخ رحمه الله تفسير في قوله سبحانه وتعالى
(وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا)

فسر الدرجات بأنها درجات الخدمة لا درجات التَّعَالِي ،
نحن ننام بالليل والشرطة تتولي حراستنا • هل تستقر
الأوضاع إذا لم تكن هناك حراسة ؟ لا يمكن أن يكون هناك
أمان •

شرطي المرور يقوم بتنظيم خط سير السيارات • لو لم يكن
موجوداً فكم من الحوادث ستكون ؟ الطبيب ، المهندس ،
التاجر كل هؤلاء يخدمون الشعب • و الشعب بدوره يخدم
الجميع هنا يحصل التكامل الاجتماعي و التكامل الاقتصادي
لذلك لو ذهب أحدنا الي بائع اللحوم وطلب منه اللحم •
من الذي يكون أعلي وهو يقوم بإعداد الكمية المطلوبة ؟ إنه
(القصاب أو الجزار) ، كما يطلقون عليه ومعني أنه يكون
اعلي لأن المشتري يحاول بلطف أن يستميله لِيُعِدَّ له قطعة
يحبها ، وحينما ينتهي بائع اللحم يمدُّ يده ليأخذ النقود من
المشتري : في اللحظة التي مدَّ يده ليَحْصُلَ علي النقود أصبح
هو الأدنى ، والمشتري هو الأعلى وهذا معني قول الحق :
(لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا) •

والعبرة من تقديم هذا المثال أن حكمة الله سبحانه وتعالى :
اقتضت تشابك المصالح ، واحتياج كل مسلم لأخيه المسلم
، ومن هنا فلا أفضلية لأحد علي أحد ، لأن لكل فرد دوراً
في الحياة لا بد أن يُؤدِّيَه . وبهذا المفهوم الإسلامي لا
طَبَقِيَّةٌ • لا أَفْضَلِيَّةَ لأحدٍ علي أحد •

ليست هناك وظيفة مَرْمُوقَةٍ • وأخرى حقيرة وَدَنِيَّة •
ولكنه الإنسان بكبريائه وتعالیه هو الذي يتصور هذا •

أما المؤمن فهو ينظر إلى كل هذه الأمور بنظرة الله إليها (إن
أكرمكم عند الله أتقاكم •

وسيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم يقرر هذا المبدأ
العظيم بقوله عليه السلام : **(الناس سَوَاسِيَةٌ كَأَسْنَانِ
الْمَشْطِ) •**

وهنا تقدم أحد كبار رجال التربية و التعليم بسؤال (رحمه
الله) قال فيه يا مولانا الشيخ أقدم سؤالي لمولانا لأني أعرف
عنك أنك أكثر الناس خبرة ودراية وصدقاً • كيف نشأت
فكرة التصوف في الإسلام ؟ ومتى ؟

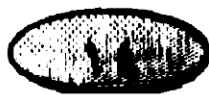
فأجاب الشيخ (رضي الله عنه ورحمه) أولاً حينما نتكلم عن
التصوف نريد أن نبين معني التصوف الحقيقي في الإسلام
كما أشار الأخ السائل • وهذا التصوف بالمفهوم الإسلامي
هو الذي أشار إليه الحديث الشريف بأنه هو مقام الإحسان
الذي وضعه سيد الخلق بقوله حينما أراد أن يبين معني
الإحسان • والإحسان أعلي درجات الإيمان • بينه سيد
الخلق بقوله : (أن تعبد الله كأنك تراه • فإن لم تكن
تراه فإنه يراك) وهذه الدرجة هي التي تأخذ بيد المسلم
إلى المراقبة بحيث يعيش المسلم في ظل هذه المراقبة وهذه
المعية العظيمة • مَعِيَّةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : قال الشيخ لابد لنا
أن نرجع إلي الأيام الأولى حينما شَرُفَ الوجود ببعثة سيد
الخلق سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
أخذ الصحابة دينهم من الأصل و لنقرأ قول الحق (يأيها
النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً •• وداعياً إلي الله
بإذنه وسراجاً منيراً) أي سراجاً في نفسه ، منيراً لغيره من
المؤمنين •

نحن الآن في جلستنا هذه يرى كل منا الآخر • ماذا يكون لو انطفأ النور ؟ هل تظل الرؤية أم تنقطع ؟

سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما أرسله ربه كان الصحابة كلهم يهتدون بنوره صلى الله عليه وسلم حيث لا وساطة بينه صلى الله عليه وسلم وبينهم وفي هذا يقول الحق : **(لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ)** ويقول سيد الخلق صلى الله عليه وسلم **(تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِن تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا • كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي)** •

وفي آية كريمة أيضا يقول الحق سبحانه وتعالى **(قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ)** •

النور - هو المعصوم صلى الله عليه وسلم : و الكتاب هو القرآن الكريم في قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(تَرَكْتُ فِيكُمْ ... كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي)** والسنة هي طريقته صلى الله عليه وسلم ومنهجه • وطريقة الرسول عليه الصلاة والسلام هي أن نُسْتَخْدِمَ الْغَرَائِزَ^١ البشرية حسب القرآن الكريم • ولذلك لما سئلت السيدة^٢



عائشة رضي الله عنها عن أخلاق سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أجابت كان خلقه القرآن .

أخذ الصحابة منه مباشرة وكانت كل أفعاله صلى الله عليه وسلم أمرا يتسابقون في تنفيذه . و مثل هذا ما روي عن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه حينما أراد ركوب دابة ابتسم . فلما سأله بعض الصحابة عن سر ابتسامته رضي الله أتدرون ماذا قال ؟ وجم أجاب ؟ قال لهم إني رأيت الرسول صلى الله عليه وسلم ذات مرة وهو يركب الدابة ابتسم ففعلت مثل ما فعل صلى الله عليه وسلم .

لما انطفأ السراج . و لحق الرسول عليه الصلاة و السلام بربه . اختلف الصحابة قبل أن يُدفن . و هذا أول اختلاف ثم لما دخل الفرس الإسلام بدأ الإسلام ينتشر في كل مكان . تغيرت الأوضاع وأصبح أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم الطليعة الأولى ، و القاعدة المتينة التي منها ينطلق الإسلام أصبح هؤلاء قلة بالنسبة لانتشار الإسلام . وبانتشار الإسلام بين الأجناس الأخرى تغيرت الأوضاع . ولذلك حينما أراد سيدنا عمر أن يتزوج من امرأة قالت له

لَا لَا أَعْيُكَ فِي شَيْءٍ فَأَنْتَ الرَّجُلُ الْمَعْرُوفُ بِشَهَامَتِهِ وَجَرَأَتِهِ
وَقُوَّتِهِ فِي هَذَا وَشِدَّتِهِ عَلَيَّ زَوْجَاتِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاضْحَةٌ • طَلَبْتُ مِنْهُ قَبْلَ الزَّوْجِ وَأَشْتَرَطْتُ
عَلَيَّ سَيِّدِنَا عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ يَأْذَنَ لَهَا فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ
كَمَا كَانَتْ مَعْتَادَةً فِي مَسْجِدِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ • فَتَظَاهَرَ سَيِّدِنَا عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالْمُوَافَقَةِ عَلَيَّ
شَرْطِهَا • وَتَرَكَهَا تَصَلِّيَ فِي الْمَسْجِدِ فَتَرَةً مِنَ الزَّمَنِ • وَلَكِنَّهُ
وَهُوَ الرَّجُلُ الْغَيُورُ عَلَيَّ عَرَضَ عَلَيْهِ هَلْ تَرَاهُ يَسْتَمِرُّ فِي السَّمَاكِ
لَهَا أَمْ دَفَعَتْهُ رَجُولَتُهُ وَشِدَّةُ غَيْرَتِهِ أَنْ يُفَكِّرَ فِي مَخْرَجٍ مِنْ
هَذَا ؟ لَا بَدَلَ لَهُ أَنْ يَتَحَايَلَ • وَالشَّرْطُ مُلْزِمٌ مَا دَامَ فِي الْعَقْدِ •
أَخِيرًا تَحَايَلَ سَيِّدِنَا عُمَرُ وَخَرَجَ مِنْ بَابِ النِّسَاءِ مُتَنَكِّرًا لَا
يَعْرِفُهُ أَحَدٌ وَوَسَطَ الظَّلَامَ وَبَسْرَةَ كَالْبَرْقِ ضَغْطَ بِيَدِهِ عَلَيَّ
جِزْءٍ مِنْ جَسَدِهَا وَهِيَ لَا تَعْرِفُ مِنَ الَّذِي فَعَلَ بِهَا هَذَا ،
لَا مَتْنَعَتِ الزَّوْجَةَ مِنْ نَفْسِهَا عَنِ الصَّلَاةِ فِي الْمَسْجِدِ وَتَرَكَهَا
سَيِّدِنَا عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَتَرَةً دُونَ أَنْ يَسْأَلَهَا عَنْ سَبَبِ
الْقَطَاعِهَا وَذَاتَ يَوْمٍ سَأَلَهَا لِمَاذَا انْقَطَعَتْ عَنِ الصَّلَاةِ فِي

المسجد فقالت له رضي الله عنها ليس الناس كعهدها بهم
أيام صاحبك • لقد اختلف الناس اختلافاً كثيراً يا عمر •
وهنا أراد الشيخ وبمناسبة شدة سيدنا عمر أن يقدم تجربته
للشباب و الأزواج قائلاً :

إن المرأة لا تحب الرجل الشديد الذي يقهرها • كما أنبأها
لا تحب الرجل الضعيف الذي لا يستطيع حمايتها و المرأة
تحب أن تحتضن الرجل وتشده إليها كما تشد الأم طفلها إلى
صدرها و لا تعاب علي هذا • لأن تلك طبيعتها •
ولذلك نزلت الآية الكريمة مُنْبِئَةً لِلرِّجَالِ (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ
عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْقَضُوا مِنْهُ
أَمْوَالَهُمْ) ولذلك يوصي الشيخ رضي الله عنه بأن المسلم
يجب عليه ألا يمكن الزوجة من احتضانه • ولذلك قال
ستظل هذه المشكلة أي مشكلة الصراع قائمة بين الرجل
و المرأة • دائمة ما بقيت الحياة • و علي المؤمن أن يضع
أمام عينيه قول الرسول عليه الصلاة و السلام ما معناه
(إِنَّ مِنْ خَلْقٍ مِنْ ظُلُمَ أَعْوَجَ • •) الحديث • ظل أصحاب
سيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم شموخاً كالجبال حتى

عهد التابعين فأجلّوهم و قدّروهم • وأنزلوهم منازلهم
أو أكبر دليل علي هذا أن سيّدنا الإمام مالك رضي الله عنه بني
مذهبه المعروف علي عمل أهل المدينة وقدم بهذا • أي
قدم عمل الصحابة في المذهب علي الحديث الضعيف لشدة
تمسك الصحابة بما كان عليه سيد الخلق سيّدنا رسول
الله صلي الله عليه وسلم ، ولما لا يقدرّون هذا التقدير و هم
الذين نزل فيهم قول الحق : (**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ
يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ
عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تَطْغَمَنْ أَغْفَلْنَا
قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطَاً**) •

أما سيّدنا الإمام أبو حنيفة فقد بني رضي الله عنه مذهبه علي
القياس •

كل هذه الخلافات تشير إلي الأمور التي استجدت بعد وفاة
سيّدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم نظر جماعة من القوم
فرأوا أن الذين اشتغلوا بالفقه و العلم افتتنوا به و ركّزوا إليه
ورأوا أن اشتغالهم بهذا أبعدهم عن السلوك الذي تربي
عليه الصحابة • فاكثفي هؤلاء القوم بما عندهم من العلم ثم
اتجهوا إلي الجانب الروحي وعملوا علي تقويته • فسُـمُوا

الصوفية • واشتهروا بالزهد • وبعد فترة من الزمن
عرفوا أنهم أصحاب مذهب مُعَيَّن • أو سُمُّوا بِأَهْلِ
الطَّرِيقِ • أي طريق الإسلام الذي يَتِمُّثَلُ في درجاته ، إسلام
إيمان ، إحسان ودرجة الإحسان هي الدرجة العليا وهي التي
يُطْلَقُ علي أهلها أي أهل الإحسان أنهم هم الصوفية •
وهذه هي الصَّوْفِيَّةُ الْحَقَّةُ ولكن للأسف ظهر من هاجمهم
وقالوا عنهم إنهم استوردوا مبادئهم من الهند وغيرها
من الخارج ثم قَبَضَ اللهُ لَهُمْ بعد فترة من نَصَبِ نَفْسِهِ
للدفاع عنهم فكان شيخ الصوفية ورجلها الإمام الغزالي فظل
رضي الله عنه يناظر و يناظر حتى أتم الله نوره علي يديه وزال
الغبار المصطنع الذي افتعله الأعداء ووضح للناس الحق •
وظهرت صورة الصوفية الحقه واضحة جلية جلاء الشمس
في وضوح النهار • استمرت هذه الفئة مدة من الزمن وأُطْلِقَ
عليهم الصوفية القدامي • وهؤلاء لا مأخذ عليهم • ولا
تشوب طريقتهم أية شائبة •

وكان مجيء الإمام الغزالي بعد قرنين من الزمان فألف كتابه
(إحياء علوم الدين) بين فيه التصوف الحقيقي . وما كان
عليه أهل الصوفية القدامي .

انتهى هذا العصر وجاء عصر المماليك وبدأ الاهتمام بالجانب
الروحي يضعف وتلك طبيعة الحياة فلا تلاقي بين الأضداد
إذا ما سيطر الجانب المادي ضعف جانب الروح و بالعكس .

بدأ التصوف يأخذ شكله الظاهري و اضمحل الجانب
الروحي الذي هو بحق العمود الفقري لهذا الأمر ، وبدأت
الصورة الهشة هي التي تظهر للناس . وأصبحت الحياة بين
الطبل والمزمار . وأصبحوا داخل كل المجتمعات والكل
يتصور أن هذه هي الصوفية . و منذ ذلك العهد شوّه وجه
التصوف . ونسي الناس إلي يومنا هذا المعنى الحقيقي
للتصوف الذي كان عليه القوم .

وليس معني هذا أن الزمن قد أفرغته الله من المخلصين
الصادقين ولكنهم في كل عصر قلة نادرة .

ووجد بعد هذا من يحاول أن يجمع الناس علي صورة ظاهرة
من الدين فنظموا بعض الأذكار ، وأقاموا الحضرات وغيرها .

ثم بدأ هؤلاء ينظمون صيغاً للصلاة علي النبي صلي الله عليه وسلم ونوعوا في هذه الصيغ لتتفق مع ميول الناس ورغباتهم وجمعوا بعض الأوراد المختلفة .

والذي ارتضاه الشيخ رضي الله عنه ورحمه أنه قال :
المأثور عن سيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم أفضل من غيره سواء أكان ذكراً أم صلاة علي النبي صلي الله عليه وسلم .

ثم بالنسبة للفرق الموجودة في وقتنا هذا قال (رحمه الله) أرى أن واجبنا كمسلمين ومؤمنين أن يصلح بعضنا البعض وعلينا جميعاً أن نطبق قول الحق عز وجل :
(ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ . وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) .

وإذا أردنا أن نصلح حال التلاميذ نقول لهم ونكلفهم بأن يحضروا الكتب التي تربي عليها أسيادهم . ثم ليأخذوا منها ما استطاعوا وحينئذ سيفتح الله لهم الأبواب المغلقة
ثم قال الشيخ رضي الله عنه انظروا إلى سيدنا أبي الحسن الشاذلي حينما قال : لو غاب عني رسول الله صلي الله عليه

سلم طرفة عين ما عددت نفسي من الأحياء .

ظفروا رحمكم الله منهج الشيخ رضي الله عنه في تفسير مثل
هذه الأمور لم يلق بنا في بحر الخيال يتصور كل منا كما يشاء
كما يحلو له فكره . بل وضع النقاط علي الحروف حيث
كان منهجه في الفكر و التوجيه ما كانت عليه الشريعة -
أمثالنا محتاجون لأن نعيش في جو الشريعة . و للحقيقة
أربابها ولهم مذاقاتهم أما نحن فلا نزال في دور
التكوين .

قال رضي الله عنه في تفسير الكلمة الطيبة التي قالها إمامنا
الشاذلي قال معني هذا لو غاب عني سيدي رسول الله صلي
الله عليه وسلم بسلوكه ما عددت نفسي في الأحياء . و هذا
يتمشي مع قول الرسول صلي الله عليه وسلم ما معناه :

(لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به) .

و الأصلح والأنسب لنا كمسلمين أن نرجع إلي ما كان عليه
الرسول صلي الله عليه وسلم وصحابته من بعده ، وهؤلاء
هم الصالحون الذين أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نذكرهم في الصلاة
سبع عشرة مرة . نذكرهم ونرجو من الله أن نكون رفقاءهم في

الجنة • وهذا ما تضمنته فاتحة الكتاب (إهدنا الصراط
المستقيم • صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم
ولا الضالين) •

ثم تعرض الشيخ لقصة سيدنا ثوبان رضي الله عنه وبين مدى
حبه لله ولرسوله ولقد سبق أن وضحناها في كتيب سابق •
وبعد أن تحدث عن سيدنا ثوبان رضي الله عنه تعرض لحب
سيدنا أبي بكر رضي الله عنه ووضح لنا مقولته التي تبين مدى
تعلقه بحبيب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم حيث قال
(لطالما وددت الجلوس بين يديك يا رسول الله ، وبذل مالي
كله إليك) من هنا استحق أن يقول فيه سيد الخلق سيدنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما فضلكم أبو بكر
بصلة ولا صيام ، ولكن فضل عليكم بحب الله رسوله)
و لنعلم جميعاً أن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين تفاوتوا
في الدرجات علي حسب حبهم لله ولرسوله (صراط الذين
أنعمت عليهم) لأن الحب في الله ، والبغض في الله من أقرب
المقربات إلى الله • يؤيد هذا ما ورد في حديث سيدنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم حيث قال ما معناه :

(من أحب لله وأبغض لله ، وأعطى لله ، ومنع لله ، فقد استكمل الإيمان) لم يقل عليه الصلاة والسلام : من صلي ، أو من صام ، أو من حج ولكنه قال عليه السلام : من أحب لله . . الحديث .

لأن ثمرة هذه العبادات هي ما بينه لنا سيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم في حديثه الشريف : والمؤمن مطالب في كل وقت بالعمل ، والتقرب إلى خالقه . (ما تقرب إلي عبدي بشئ أحب إلي مما افترضته عليه) وللشيخ رضي الله عنه رأى في قول الله عز وجل (مما افترضته عليه) ليس مقصوراً على التكليف الشرعية من صلاة وصيام وزكاة وحج وإنما تدخل فيها فرائض الأخلاق وكل ما يترتب عليه من ثواب أو عقاب .

ثم أراد الشيخ أن ينبه المسلمين إلى حقيقة مهمة حيث وجه إلى المستمعين سؤالاً : أنتم الآن صليتم وراء من ؟ قالوا صلينا وراء الشيخ . . . قال لو تصورتهم هذا لابتعدتم عن الواقع والدين نحن حقيقة نصلي وسيدنا الرسول صلي الله عليه وسلم إمامنا فلقد قال عليه السلام (صلوا كما

رَأَيْتُمُونِي أَصْلِي) وأكد الشيخ كلامه بقوله لو أخطأ الإمام هل تتبعونه ؟ فهذا وحده دليل علي أننا نصلي خلف رسول الله صلي الله عليه وسلم . لأن مُرَاجَعَتَنَا لِلإمام الذي أخطأ دليل علي أن الرسول عليه الصلاة والسلام قدوتنا وإمامنا . وما أشبه هذا باتجاهنا في الصلاة إلى القبلة . وحينئذ لا يكون الجدار ، ولا تكون المسافات التي بيننا وبينها حائلاً ومانعاً .

ثم يتابع الشيخ حديثه عن المرشد و المربي . فيقول إذا وجدت الشيخ المربي متبعاً للرسول عليه الصلاة والسلام . ويحاول في كل سلوكياته أن تكون علي طريقة سيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم ثم هو بعد هذا يأخذ مريديه بهذه التربية التي يعيش عليها فالزم هذا الشيخ وإلا فلا خير فيه . ولا يصلح أن يكون مربياً .

وبعد أن علمنا ما علمناه من ضرورة الاتباع لسيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم مريداً كان أم شيخاً وتشدد الضرورة بالنسبة للمربي حيث العبرة بالجانب السلوكي . ولذلك قال إمام العلم و التصوف سيدنا ابن عطاء الله

السكندري في حكمته (لا تصحب من لا ينهضك حاله •
ولا يدلك على الله مقاله) •

يقول سيدنا الإمام شيخ الصوفية - سيدنا ابن عطاء الله
السكندري - لا تصاحب ولا تجالس إلا رجلاً يَشُدُّكَ إِلَى
معرفة الله بسلوكه ، وأعماله وإخلاصه ، قبل أن يَشُدَّكَ إِلَيْهِ
بمقولاته وكلامه •

ثم قال الشيخ هل ترى وجهك الآن ؟ قال المستمعون لا :
قال لو نظرتُم إلى المرأة هل ترون وجوهكم ؟ قالوا نعم قال :
العارف بالله كالمرأة بالنسبة لأخيه ثم ضرب مثلاً علي ذلك
فقال لو زرت صديقاً لك ثَرِيّاً يعيش في قصرٍ عظيم ، وأثاثٍ
فاخر ، وملبَسٍ أنيق وسياراتٍ فاخرة ، ما شعور الإنسان بعد
أن يدخل قصره ويجلس معه ؟ حينئذ سيشعر بشدة فقره ،
و يتطلع بعد هذه الحياة إلى حياة أفضل وأرقى • هذا الشأن
في الدنيا لأن الإنسان سيشعر بنقص كبير في حياته
الدنيوية •

هكذا الشأن لو عايشت مؤمناً علي درجة عالية من الإيمان •
لو قاس الإنسان نفسه به لحكم علي نفسه بأنه في أدنى درجة

إيمانية لأنه عند المقارنة تتكشف الفروق الإيمانية . ساعتها
لا بد أن يحصل التحول ، فضعيف الإيمان يستيقظ من غفلته ،
و ينهض لعمل لمرضاة ربه فيشد رحاله إلى خالقه .

وهذا هو المراد من قول شيخنا إمام التصوف سيدنا ابن عطاء
الله السكندري (لا تصحب من لا ينهضك حاله . الخ) .

الشأن في المربي أن يرشدك إلى الله بقوله وعمله . لأنه يعيش
في قول الله تبارك وتعالى : **"هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا
مِنْهُمْ يَقُولُ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ
وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ** (

الرسول صلى الله عليه وسلم تلقى من الله عز وجل دون أن
يعرف القراءة و الكتابة ولأنه أمي نزل عليه قول الحق عز
وجل **(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ)** لقد علمه ربه وهو أمي : و المراد
بالأمية أمية الغيب - أمية الإيمان - أمية الآخرة - أمية

إبراز الحقائق كما يريدُها الله عز وجل : ولذلك يقول الله
(**وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**) الله سبحانه لا يقيده

زمان ولا مكان ، فلا ماضي ، ولا حاضر ، ولا مستقبل .
(**وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ**) كل لحظةٍ من الزمان تمرُّ دون عمل

يرتضيه الله و يثيب عليه فالإنسان في ضلال واضح وظاهر
لأن المسلم في كل لحظة ووقت يمر عليه ملتزم بأمر • قال
تعالى (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار
لآيات لأولي الأبواب) لا يعني اختلافهما بالشروق
و الغروب • لأن القرآن لما جاء التعبير فيه بـ (في) كان
المراد ما يحدث فيهما من حياة وموت ، صحة ومرض ،
وغني وفقر وكل ما يكشفه القدر ويحدث فيهما • ولما قال
الحق : (لآيات لأولي الأبواب) هل هم أصحاب السلطة
والجاه ؟ قطعاً ليس هذا هو المراد • لكن المعني و الله أعلم
، أنهم أصحاب العقول ، وأرباب اليقين • ولو قال
الحق (إن خلق السموات والأرض ١٠٠ الآية) لكانت الدعوى
متجهة إلى الاشتغال بالأحجام ولكن (في) التي تفيد الظرفية
ركزت أن تكون العبرة و الاعتبار و العظة وما يقع فيهما من
أحداث هي الغاية لكل مؤمن موحّد •
السماء بالنسبة لله فوق الغيبيّه • أي أنه سبحانه و تعالى
فوق كل غيب ، لأنه علام الغيوب • وكل الغيوب تحسّت
مشيئته وعلمه •

أما السماء بالنسبة لنا كبشر فهي كل ما علانا .
ثم بينت الآية من هم أولوا الألباب (الذين يذكرون الله
قياماً وقعوداً وعلي جنوبهم) رأى بعض العلماء في قوله عز
وجل (قياماً وقعوداً) أنها خاصة بالصلاة . وهذا رأى
ولكن المعنى الذي ارتضاه الشيخ (رحمه الله) أنه قال :
المسلم في كل وقت من أوقات حياته إما مأمور بفعل شئ
أو منهي عن شئ . وإما متروك له الحرية . وهذا ما
يتمشي مع قولنا . الحركات ثلاث : إما إيجابية وإما سلبية
وأما حيادية . والمؤمن بطبيعته يكون قيامه بالله . وجلسه
بالله وحينما ينتهي عن شئ يكون تركه لله . ولذلك عاد
فذكرنا مرة أخرى بمضمون التقوى فقال هي : فعل المأمور -
و ترك المحذور - و الرضا بالمقدور .
فقوله تعالى : (وعلي جنوبهم) أشبه بمن يجري عليه
القضاء، لأنه لا دخل للإنسان فيه فما أشبهه بالنائم علي
جنبه .

ومقتضى الإيمان • أن يُتلي المؤمن : (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ
الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ
١٠٠ الآية)

الخوف غريزة ملازمة للإنسان وأحيانا يكون الخوف نعمة •
فلو تصورنا أن حشرة سقطت علينا من السقف ونحن
جلوس ماذا سنفعل ؟ سيفزع الجميع و يهرول اتقاء
الضرر • ألا تعتبر غريزة الخوف حينئذ نعمة ماذا فعلنا عندما
تمكن الخوف منا ؟ فررنا من مكان الضرر • هذا لو كان
الخوف من مخلوق • لأن من خاف من مخلوق فرّ منه • ومن
خاف من الخالق فرّ إليه • (فِرُّوا إِلَى اللَّهِ) •

من ثمرة الابتلاء أن يرد المؤمن إلى ربه ، ويشده إلى خالقه •
هذه طبيعة المؤمن • و تلك أخلاقه • لكن الإنسان العادي
غير هذا ومختلف تماماً • ولذلك قال الحق في شأن الإنسان
(وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ
كَانَ يُوَسْوِسًا) •

ثانيا : الابتلاء بالجوع : هنا نطرح سؤالاً : هل إذا رجع
المسلم منا إلى بيته ورأى أن أهله قد أعدوا الطعام الشهي ،

و الماء الثلج ، أتظنون أنه يذكر خالقه ويشكره علي ما
وجد ؟ قلما يذكر أحد خالقه لأن الإنسان هو الذي اشترى
الطعام ، وزوجته هي التي قامت بالطهي - رؤيتنا لأنفسنا
كما قلنا ونقول مراراً هي التي حجت رؤية الله سبحانه
و تعالي عنا . تعالوا معنا لنعرض صورة أخرى : تمكن الجوع
من الإنسان ، وشعر بمرارته . وما إن رآه صديقه حتى فرح
بلقاءه . ثم اصطحبه إلي منزله حيث احتفي به وقدم له
الطعام فأكل وشرب وحمد الله . أتظنه بعد ذلك ينسي صنيع
صديقه ومعروفه ؟ قطعاً لا . بل كلما ذكر اسمه أو رآه
تذكر حفاوته وتكريمه له .

مثال آخر : قدم صديق لك من سفره . وأهداك قطعة من
الصوف . فصنعتها جلباباً . كلما لبست الجلباب تذكرت
الصديق . و دعوت الله له بالخير و الهناءة .

السؤال المطروح الآن . أين الله سبحانه وتعالى بعد أن أغدق
عليك كل هذه النعم . ولقد صدق الحق (وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ
الشَّاكِرُونَ) .

عجباً لهذا الإنسان ؟؟ ألم يهَيِّ لكَ الحق عملاً تَعَايَشُ عليه
أنت وأسرُتك ؟ ألم يَرْزُقَكَ اللهُ وزوجَتَكَ وأولادَكَ الصَّحَّةَ ؟
ألم يَهَيِّ لكَ المسكن لِتَأْوِيَ إِلَيْهِ أنت وأسرُتك ؟ ألم يُنْعِم
عليك بالحرية فَأُبْعَدَكَ عن السَّجُونِ ؟

هذا الماء الذي تشربه • هذا الهواء الذي تتنفسه • هذا
البصر الذي تبصر به • هذه الأيدي التي تعمل بها • هذه
الأرجل التي تمشي بها • ماذا تقول ؟ كل ما حولك
يذكرك بالله خالق النعم • ولقد صدق الحق (إِنَّ الْإِنْسَانَ
لَظَلُومٌ كَفَّارٌ) •

نعم إذا أحب الله عبداً ابتلاه • ابتلاه بالفقر • ابتلاه
بالجوع • ابتلاه وشَدَّدَ عليه الابتلاء (أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءَ الْأَنْبِيَاءِ
ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ) •

(وَنَقَصَ مِنَ الْأَمْوَالِ) كل علي حسب دينه - ابتداء من
كَسْرِ الْكُوبِ ، أو زيادة الملح في الطعام علي سبيل الخطأ
وهذا كله تصديق لقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم (حَتَّى الشُّوْكَةُ يُشَاكُّهَا) •

(وتقص من الأموال والأنفس) ليس القصد الموت فقط .
وإنما يدخل في هذا قصد الانتفاع وأمثلة ذلك : لو أعطيت
قضيتك لحام تتق فيه . لكن الله اختاره لجواره . أو نساظر
مدرسة يعاملك معاملة طيبة ففوجئت بنقله . أو كان
للإنسان قريب ذو جاه وسلطة . وكان يقضي له الكثير من
مَصَالِح ففوجئ باستبعاده . كل هذه صور ينقص فيها
الانتفاع .

(والثمرات) القصد منها نتائج الأعمال ومثال ذلك :
رَبِّتْ وَلَدَكَ وحمدت الله أن يَسَّرَ له الأمر ، وحصل علي
تعليمه العالي، ثم حصل علي درجة علمية مُمَيَّزَة ثم سافر الي
بلد كَرُوسِيَا ثم فوجئ والده بأن ابنه تزوج من روسيَّة .
مثال آخر : أنجب إنسان فتاة رباها علي العفة و الطهارة ، ثم
تزوجت بشاب وبعد فترة اكتشف انه يتكسب علي
الحرام .

ومثال آخر : أقرضت صديقا لك قرضا . ووعدك بالسداد
في وقت حدده لك ثم مَاطَلَك . ولكن رفعت أمره إلي
القضاء . وبعد فترة ليست بالقصيرة حصلت علي جزء من

مبلغك • ولم يقم بسداد ما بقي عليه هذه أمثله كلها تدل
علي نقص في نتائج الأعمال •
وعلي المؤمن أن ينظر دائماً في كل ما يجري حوله وما يقع
عليه فإن وجد خيراً فليشكر الله وليحمده • وإن وجد ما
يسيئه صبر ورضي • وهذا معني قول سيدنا رسول الله
صلي الله عليه وسلم : (**الْإِيمَانُ نَصْفَانِ • نِصْفُهُ صَبْرٌ ،
وَنِصْفُهُ شُكْرٌ**) وكان التقرب إلي الله من باب الابتلاء شاقاً
جداً ، لأن بقية التكاليف الأخرى أيسر بكثير • فلو صلي
المسلم • أو صام • أو تصدق أو اعتمر كلها تكاليف لا
مشقة فيها بخلاف الصبر في منازل القضاء فإنه يحتاج إلي
يقين ثابت ، ونفس راضية مطمئنة : ولذلك قال ساداتنا
الصوفية رضي الله عنهم أجمعين العبد بين أحوال أربعة :
الحالة الأولى حالة مصيبة • و مقتضي الحق منه الصبر -
الثانية في حالة نعمة فمقتضى الحق منه الشكر - الثالثة في
حالة طاعة و مقتضي الحق منها شهود المنة لله - الحالة
الرابعة أن يكون العبد في حالة معصية • و مقتضي الحق منه
التوبة والاستغفار •

ثم عاد الشيخ ليستكمل الكلام عن الصوفية فقال وضح لنا
أن من أكبر سمات ومميزات المدرسة الصوفية القديمة هي
الاهتمام الشديد بالجانب الروحي لكن المدارس الصوفية
الحديثة كانت عكس هذا حيث لم يهتموا مطلقاً بالجانب
الروحي ، أو الجانب السلوكي . بل أصبح كل هم
المُرشدين و المربين . ومن يقوم علي أمر الراغبين في الصوفية
أن يلقنوا أبناءهم أذكار خوفاء يؤدونها بأفواههم
وأجسادهم . و مثل هذا لا يمكن أن يخرج مؤمنا موقنا وقافاً
عند حدود ربه ، لأن الجانب الروحي مفقود والقُدوة
السلوكية معدومة . و المرشد و المربي نفسه فاقد للجانب
الروحي ، وأحيانا لا صلة له بالعلم . بل تغلب عليه
الأمية^{رو} .

ثم يقول الشيخ رحمه الله وأنا قد عشت ورأيت ممن يجمع
الناس علي القصص العادي أمثال : الزير سالم . وأبو زيد
الهلالي وجمع الناس علي أذكار لا تنفع . وأنا أقول
وأؤكد ما أقول لأني قضيت أغلب حياتي . وأنا علي قرب

من هؤلاء الناس • ولذا فإن ما أقوله لم يكن محض افتراء
عليهم • بل هو واقع هذه المدارس •

وخلاصة ما أريد أن أبلغه لكل مسلم يخاف الله ورسوله ،
ويغار علي دينه كل طريق لا يكون علي وفق منهج الله وسنة
رسوله صلي الله عليه وسلم فهو طريق عقيم لا يُخَرِّجُ مسلماً
أو مؤمناً مَوْحِداً مُوقِناً •

(وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا
بَاطِلًا سُبْحَانَكَ) (. . .)

التفكر : خاص بالقلب • و القرآن الكريم حينما دعانا إلي
التفكير في خلق السموات والأرض • دعانا لنأخذ العبرة
والعظة من الأحداث التي تقع حولنا ، فنهتدي إلي الخالق ،
ويقوى يقيننا ، ويسمو إيماننا ، حينئذ كانت النتيجة
الطبيعية لهذا (ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك) وهنا
لا بد أن نوضح ما عليه الناس من تصور ، وما يجب أن يكون
عليه المؤمن •

نحن كبشر نواجه الأمور والأحداث بواقع إدراكنا
و تصوراتنا واحساساتنا و نقيسها بهذا المقياس • ولو قاس

المؤمن ما يجرى في الكون من أحداث بفكر مستقل عن المنهج
الإيماني لضل وتخط . و لتوضيح هذا . كثيراً ما نشاهد
فيما يجرى حولنا أن رجلاً صالحاً نشاهد أولاده غير موفقين
في حياتهم العلمية و المادية . بينما نرى في الطرف الآخر
غير هذا بمعنى أن يكون الرجل فاسداً و مرتشياً ثم نرى
أولاده ناجحين في حياتهم ، وفي مجبوحة من الحياة ، ورغد
من العيش .

هنا لابد للمؤمن من وقفه حاسمة مع نفسه ترده إلى اليقين
بالله ، و الثقة في قضائه . و عليه أن يوقن بأن الله سبحانه
وتعالى هو الفعال لما يريد وأن ما كان لابد له من حكمة
وإرادة . و عليه فلا بد أن يعتقد اعتقاداً جازماً بأن الحق
سبحانه وتعالى : لا يكون منه إلا الخير ، وأن ما وقع
في الكون هو الحق . وإن خفيت علينا الأمور ، والتبسَتْ
علينا الأحداث .

ولذلك كانت كلمة التوحيد هي الحصن و الأمان لكل مؤمن
سواء أكان ضعيف الإيمان أم قوى الإيمان .

(لا إله إلا الله) يقولها الكافر إذا أراد الدخول
في الإسلام وهو الذي سيدخل الإسلام ولا رصيد له .
وكلمة التوحيد يقولها الرسل عليهم الصلاة والسلام .
والسؤال المطروح هل هناك إله يُنفي ؟ قطعاً لا يوجد ولكن
بحكم تصورات غيرنا ممن حرموا التوحيد يقع منهم هذا .
لهذا كان الإتيان بقولنا (لا إله) تَيَقُّناً من كل ما سوى
الله ثم أثبتنا وجود الحق إلا الله . ورسولنا صلي الله عليه وسلم
كثيراً ما دعا إلي ترسيخ العقيدة لذا نجد الدواء النبوي دائماً
موجوداً وفي هذا المعنى يقول المعصوم صلي الله عليه وسلم
ما معناه (**الْخَيْرُ كُلُّهُ بِيَدَيْكَ . وَلَيْسَ الشَّرُّ إِلَيْكَ**) .
رب سائل يسأل هل من أسماء الله الحسنى (**الضار**)
و (**النافع**) لو لم يكن من أسمائه سبحانه (**الضار**) للدغست
العقرب الإنسان ومعني ذلك أنه سبحانه وتعالى منعه الضرر
الموجود في العقرب ولكنه سبحانه هو الذي خلق الضرر
في هذه الحشرات لأنه سبحانه وتعالى أوجد فيها الضرر
ليكون سلاحاً يحميها من بطش الإنسان وتهوره .

فإذا ما نزل بالإنسان ضرر فهو من صنع الله وقدره • و هذا هو الشق الأول من الإيمان : الشق الثاني عليك أن تعلم وتوقن أيها المؤمن أن ما نزل بك فهو خير - وإن كان الظاهر غير هذا - فهو خير باعتبار ما سيحصل عليه المؤمن من جزاء •

(النافع) ضده الضار فالنافع هو الله فإذا لم يعطك النفع وتركك فهذا هو الضرر • وما أشبه هذا بالطبيب يقوم بعلاج المريض فإذا ما توقف عن العلاج انتهت حياة المريض • كثير من الشباب يسأل ويقول جميع الكفار متقدمون ومتحضرون • لكننا نحن المسلمين كسالي وغير موفقين •

أقول لهؤلاء الشباب : إن عدالة السماء تقتضي أن يمتنع الله الكفار في الدنيا حتي يحصلوا علي كل ما عملوه من حسنات في دنياهم • لكنهم لا حظَ لَهُمْ في الآخرة و اقرؤا إن شئتم قول الحق سبحانه (قل من حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ) هذه النعم الموجودة في

دنيانا جعلها الله للمؤمن والكافر • أما المؤمن فقد تمتع بها علي الوجه الذي أذن له خالقه به ، فقدم الشكر لله • ولذلك كانت (خالصة يوم القيامة) أما الكافر فلم يتمتع بها علي الوجه الذي أذن له به خالقه ولم يقدم لربه الشكر ، أن كفره بالله وعدم توحيد له حجب عنه كل خير فاقتضت عدالة الله أن يعطيه جميع حسناته في الدنيا ، فوهبه ربه الصحة و المال و كتب له نجاح الأولاد • ولكنه في الآخرة مُعَذَّبٌ ومُهَان ، ومُخْلَدٌ في النيران •

هذا ومن نعم الله علينا كمسلمين أن خلق الكفار وسَخَّرَهُمْ للاختراعات المختلفة من سيارات وطائرات وشاركناهم الانتفاع بها وهذا من فضل الله علينا •
(سُبْحَانَكَ قِنَّا عَذَابَ النَّارِ)

أتى بالنار لأن الكفر باطل ، و المعصية باطل • هذا بالنسبة للمخلوقين أما إيجاد الكفر و الكفار بالنسبة لله سبحانه وتعالى فليس باطلاً ، لأن أسماء الله الحسني فيها صفات الجمال • ومن مقتضيات صفات الجمال الجنة والله صفات الجلال ومن مقتضياتها وجود النار •

وفي أثناء هذا الكلام توجه أحد المستمعين بسؤال فقال : هل التفكير ساعة يضاهي ويقابل عبادة سنة ؟

فأجاب الشيخ رضي الله عنه لو صح هذا الكلام لابد أن نقول إن التفكير الذي يستحق الجزاء الكثير ، هو التفكير الصادر من الأنبياء و الرسل و الصديقين لأن إدراكاتهم غير إدراكاتنا • و يقينهم لا يصل إلي مستواه مخلوق ثم ضرب مثلاً للمقارنة بين تفكر العوام ، و تفكر الصديقين و من هم في مستواهم فقال : لو أنك أردت الوصول إلي القاهرة وركبت عربة (كارو) فكم من الوقت والساعات تسير • إن الوصول إليها بهذه الطريقة يستلزم ساعات طوال لكنك لو ركبت سيارة بيجو أو مرسيدس أظن الفرق كبيراً بين الوسيلتين •

لكي تعرف الله وتوحده أنت محتاج لجهد مثير ، وشوط كبير وفي الواقع لابد أن تعترضك عقبات • وتقف أمامك ابتلاءات والتفكر المحمود هو الذي ينقلك من مقام إلي مقام كأن يتفكر المسلم في عظمة الله • و كيف أنه سبحانه وتعالى رزاق يرزق كل هذه الخلائق انسها وجنها • طيرها

وحيواناتها • برّها وبحرها وكيف أنه حيّ يقوم علي
شئون الخلائق هذا هو التفكير الذي تدعونا إليه الشريعة
السمحة ، لأنه يرسخ العقيدة ويقويها • وينفي الرّيب
والشكّ • و مثال التفكير حينما نستعرض الآية الكريمة
(يأيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً • وداعياً
إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً) ستقول في نفسك السراج هو
الشمس ، و الشمس ينعكس ضوءها ، وتنعكس أشعتها علي
الأرض ، فيكون للضوء أثره ، وللأشعة أثرها • والرسول
عليه أفضل صلوات الله ، وأجل تسليماته شمس في عالم
الغيب ، وآثار سيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم صاعدة
وممتدة إلى الآخرة •

ونحن ننظر بضوء الشمس إلى ما حولنا ، و عليه فتكون
نظرتنا إلى سيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم متجهة إلى
آثار ضوئه وآثار ضوئه في سنته •

هنا يكتسب القلب يقينا فوق يقين ، و تعظم لدينا السنة •
حيث أخذ التفكير بيد صاحبه إلى مقام اليقين الكامل بواسطة

التفكر • و المسلم بهذا وصل إلى مرحلة اليقين في زمن
قصير • يصلها العابد الجاهل في سنين طويلة •
والمسلم بعد هذا لابد أن يشهد عجزه أمام ما كلف به فيعود
إلى ربه معترداً ، لأنه لن يستطيع أن يقوم بتكاليف العبودية
وبما طلب منه لهذا يلجأ إلى ربه كي ينجيه من هول جهنم •
وأن يرزقه الجنة بعد أن تأكد أنه لن يصل إليها إلا بفضل
الله • و عليه أن يتذكر جيداً ما قاله سيدنا رسول الله صلي
الله عليه وسلم ما معناه (**لَنْ يَدْخُلَ أَحَدُكُمْ الْجَنَّةَ**
بِعَمَلِهِ . . .) الحديث وهذه حقائق لا يختلف عليها اثنان •
وهنا قال الشيخ رحمه الله • لقد تركنا نقطة لم نتمها وهي
قول الحق تبارك وتعالى (**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** . . صراط
الذين أنعمت عليهم) وقوله عز وجل في آية أخرى (**اتَّبِعْ**
سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ) لنرسيخ أمراً وهو أن الإنسان المسلم
محتاج دائماً إلى قدوة (**أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ فَبِهِدَاهِمُ**
اِقْتَدِهِ) •

الرفقة في الطريق إلى الله ضرورة جداً : و التعاون مطلوب جداً بدليل قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما معناه **(المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضُه بعضاً) •**

إذا فالمرشد الربّي ضروري - ولذا قال العلماء العارفون بالله في تفسير قوله تعالى (**ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلُ بِهِ خَبِيرًا**) قالوا الخبير هو من عرف صفات الحق سبحانه وتعالى وحاول التخلّق بأسمائه الحسني •

ولنضرب لهذا مثلاً : لو طلق أحد المسلمين زوجته • وأراد أن يسأله إلى من يتوجّه ؟ قطعاً سيّوجه إلى علماء الشريعة فهم وحدهم هم الذين سيّفْتونه •

هكذا الطريق إلى الله • و الذي بينه سيد الخلق في قوله عليه السلام : **(عليكم بسنتي)** ومعلوم أن سنته صلى الله عليه وسلم أقوال ، أفعال ، أحوال •

وخلاصة وصفوة ما يدعو إليه شيخنا في أمر التصوف :
ضرورة العودة إلى ما كان عليه الرسول صلوات ربنا
وتسليماته عليه فلن يصلح حال المتأخرين إلا بالرجوع إلى ما
كان عليه الصحابة و التابعون •

فبناء العقيدة هو العمود الفقري للإسلام و المسلمين • ولن
ترتفع راية الإسلام و المسلمين إلا بالعلم و العمل ، و حسنا
أن أول سورة نزلت من كتاب ربنا هي قول الحق سبحانه
وتعالى : (اقرأ باسم ربك الذي خلق •• خلق الإنسان من
علق)

أي اقرأ كتاب الكون كله باسم الله ، فكل ما كان وما
سيكون مرتبط بالخالق جل علاه ، فلا علم بلا توحيد ،
ولا توحيد بلا علم •

ولذلك سئل أحد الصوفية : هل يتخذ الله (ولياً جاهلاً) ؟
قال : لو اتَّخَذَهُ لَعَلَّمَهُ •

هذا هو التصوف الذي كان عليه المسلمون الأوائل - حُب
في الله - تَفَانٍ في الله - ومن أراد أن يستخرج اللؤلؤ فعليه
أن يَغُوصَ قاعَ البحار ومن أراد القواقع فما أكثرها علي
الشواطئ ؟

وما أعظم ما وصي به شيخنا رحمه الله • اليُسْرَ في الدين •
فكانت دعوته إلي الله كُلِّهَا يُسْرًا في يُسْرٍ ، وَتَمَاحَةً في سَمَاحَةٍ
وكان يقول إسلامنا يتلخص في أمرين اثنين :

افعل - ولا تفعل •

رضي الله عن علمائنا المسلمين • و ألحقنا بهم علي خير

ما نكون من الإيمان و اليقين •

والله نسأل ألا يَكِلَنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طُرْفَةَ عَيْنٍ أَوْ أَقَلَّ مِنْهَا •
(رَبَّنَا لَا تَزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً
إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ) •

صدق الله العظيم ،،،